١٠٠ فائدة

من سورة يوسف

تأليف

محمد بن صالح المنجد

خرج أحاديثه وآياته

هاني فاروق

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية- ٢٤ ش كانوب- كامب شيزار

ت: ٥٩٠١٨٥٨٠- محمول: ٠١٠١٧٦٨٥٢٣



الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١١٩٣٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . **و بعد:**

هناك عدة أسئلة عن أمور تتعلق بسورة يوسف وسنتحدث إن شاء الله في هذا الدرس عن بعض الفوائد المأخوذة من هذه السورة والقصة العظيمة وهذه السورة تحكي قصة نبي كريم من أنبياء الله عليه الصلاة والسلام وفي هذه السورة عبر كثيرة وفوائد ودروس للمؤمنين وفيها كذلك أحكام استنبطها العلماء من هذه القصة التي أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ وتمتاز هذه القصة بجمال الأسلوب إذ ليس عند النصارى ولا عند اليهود [(١)]في سوره يوسف مثل هذه التفاصيل أبدًا وهذه القصة يذكر الله سبحانه وتعالى فيها ما حصل لنبيه يوسف عليه السلام . فلنأخذ بعض هذه الفوائد من هذه السورة . .

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

---

(١) ليس عند النصارى ولا اليهود في كتبهم سورة تسمى سورة يوسف ولكن يقصد الشيخ ما في كتبهم من ذكر هذه القصة .

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ١- ٦] .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ وذكر قبلها انه قد أرى نبيه يوسف وهو صغير رؤيا عجيبة ويؤخذ من هذا :

١- تعاهد الأب أبنائه بالتربية وتقريبه من عنده استعداد للفهم والعلم والفقه وخصه بمزيد من العناية . لانه كلما كان الإقبال أكثر من الشخص ينبغي أن يكون العطاء له أكثر .

٢- أن الرؤيا الصالحة[1] من الله وذلك لأن يوسف رأى رؤيا حق وأمره أبوه ألا يقص الرؤيا على اخوته .

٣- أن كتم التحدث بالنعمة للمصلحه جائز ولذلك قال لا تقصص رؤياك على إخوتك - مع إن الرؤيا نعمة هنا- فيكيدوا لك كيداً . إذًا لو كتم إنسان نعمة الله عليه ولم يفشها لئلا

---

(١) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**» . البخاري (٦٥٨٨) ومعنى ذلك أن الرؤيا استمرت كبدء للوحي مدة ٦ أشهر وإجمالي زمن النبوه ٢٧٦ شهر (٢٣ سنة) فالرؤيا جزء من ٤٦ جزءاً .

يتضرر من الحسد فهذا لا باس به . وأما التحدث بالنعمة فيكون عند أمن الحسد[1] فيذكر الإنسان نعمة ربه عليه .

٤ - أن الشيطان يدخل بين الاخوة فيوغر صدور بعضهم على بعض مع كونهم أشقاء فيصيرهم أعداء .

٥ - أن على الأب أن يعدل[2] بين أولاده ما أمكن وانه لو كان أحد الأولاد يستحق مزيد عناية فإن على الأب ألا يظهر ذلك قدر الإمكان حتى لا يوغر صدور الآخرين .

٦ - أن الله سبحانه وتعالى يجتبي من يشاء من عباده ويصطفي[3] وهذا الاصطفاء من الله عز وجل نعمه فأنت مثلاً

---

(١) وليكن ذلك بحيث لا تصل إلى درجة الوسوسة والجبن الشديد من الحسد ومن أقل شيء يتحدث به لأي أحد فهناك من تصل درجة الخوف عنده مبلغًا شديداً فيكتم النعم بل ربما يتظاهر بالفاقة وبالضرر حتى لا يحسد وهذا خطأ .

(٢) عن حصين عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال : «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟**» قال : لا قال : «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال فرجع فرد عطيته (**البخاري باب الإشهاد في الهبة ح٢٤٤٧**) .

(٣) قال تعالى : ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾ [**القصص: ٦٨**] وقال تعالى : ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم** =

تأمل كيف أن الله سبحانه وتعالى اصطفاك فلم يجعلك جمادًا بل جعلك إنسانًا تأمل كيف اصطفاك الله فلم يجعلك كافرًا بل جعلك مسلما تأمل أن الله عز وجل لم يجعلك من أهل الكبائر الفسقه المجرمين ، من أهل البدعة بل جعلك من أهل السنة ، وإذا لم تكن من أهل الكبائر فتأمل اصطفاء الله ولم يجعلك من أهل الكبائر وجعلك من أهل الاستقامة والطاعة والدين . وإذا كنت طالب علم فإن الله اصطفاك اصطفاء آخر بأن جعلك صاحب علم ، وإذا كنت داعيه فهذا اصطفاء آخر من الله جعلك ليس فقط من أصحاب العلم بل جعلك تدعو إلى هذا العلم ، وهكذا . فإذا هي اصطفاءات من الله سبحانه وتعالى للعباد .

٧- أن البيت الطيب يخرج منه الابن الطيب انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مَّنْهُمْ لاَ

=وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران ٣٣]

تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) ﴾

٨- أن الغيرة تدفع أصحابها للضرر والإيذاء فانه لما غاروا من أخيهم سعوا في إيذاءه .

٩- أن هذه الغيرة يمكن أن تؤدي إلى الكيد والقتل[1] وليس مجرد الإيذاء فان هذه القضية قد أوصلتهم إلى أن يسعوا إلى قتل أخيهم ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ .

١٠- تبييت التوبة قبل الذنب توبة فاسدة . يعني إذا قال أحد نذنب ثم نتوب فهو ذنب ثم نستقيم فلنذنب . . هذه توبة فاسدة . لماذا ؟ قال تعالى : ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ إذا هم قالوا نذنب ثم نتوب وتمشي . . هذه توبة فاسدة . وما أدراهم أنهم سيستقيمون على الدين والصلاح فبعض الناس يقول له الشيطان : أنت الآن أذنب ثم تتوب تمشي الأمور أنت الآن أذنب ثم تستقيم وتدين . . خلاص هو هذا الذنب وانتهينا فينتكس هذا المسكين ويذهب على وجهه في المعاصي .

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧]

﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ .

١١ – أن الإنسان إذا ظن سوء بإنسان فلا يصلح أن يلقنه حجة لأنه يستخدمها عليه ولذلك يعقوب لما قال : ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ هو لقنهم حجة استعملوها بعد ذلك قالوا حصل ما تكره وتركنا يوسف عند متاعنا وأكله الذئب . لذا لا ينبغي لإنسان إن شك في شخص أن يلقنه حجه يمكن أن يستخدمها بعد ذلك .

١٢ – أن الله عز وجل ثبت يوسف من بدء أمره فإنه لما كان في البئر ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ ولكن ومتى تحدث هذه التنبئة ؟ بعد حين .

﴿ وجاءوا أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ (١٦) قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وجاءوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ .

١٣- أن المتظاهر بالأمر ينكشف أمره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل فإنهم جاءوا أباهم عشاء يبكون فهذا تمثيل ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾.

١٤- العمل بالقرائن ومشروعية العمل بالقرائن فإن يعقوب رأى قميصًا لم تعمل فيه أنياب الذئاب قميص سليم مغموس بدم فكيف أكله الذئب- ما هذا الذئب الذي له ذوق يأتي للولد ويخلع قميصه ثم يأكله- كيف يأكله الذئب والقميص سليم ما به تمزيق. . مغموس بدم ما به تمزيق .

١٥- جواز المسابقة . مشروعية المسابقة . المسابقة تكون على الخيل والسهام . . لا تبقى إلا في نصل أو خف أو حافز أي على الإبل والخيل والسهام [1].

---

(١) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر». (الترمذي باب ما جاء في الرهان والسبق) قال في المغني: كتاب السبق والرامي: المسابقة جائزة بالسنة والإجماع وأما السنة فروى ابن عمر أن النبي ﷺ سابق بين الخيل المضمرة من الحفياء إلى ثنية الوداع وبين التي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق (متفق عليه). . وأما المسابقة بعوض فلا تجوز إلا بين الخيل والإبل والرمي لما سنذكره إن شاء الله تعالى واختصت هذه الثلاثة بتجويز العوض فيها لأنها من آلات الحرب المأمور بتعلمها وأحكامها والتفوق فيها) (جزء ٩ صفحه ٣٦٨)

هذه الأمور التي تعين على الجهاد تجوز المسابقة فيه بجعل أي مقابل أما إذا كان ليس من الأمور المعينة على الجهاد ونشر الدين فلا يجوز السبق به بجائزة فصار عندنا المسابقات على ثلاث أنواع :

أ- جائز بعوض . **ب-** جائز بغير عوض . **ج-** محرم .

أ-جائز بعوض: مثل مسابقه سهام الرمي بالبندقية على الخيل . مسابقه الرمي بالطائرات ، بالدبابات ، بأي وسيله بالرمي لأنه معين على الجهاد يجوز أن يجعل فيه جوائز . بن تيميه رحمه الله أدخل في المسابقات المعينة على نشر الدين . فلو عملنا مسابقه في حفظ القرءان وحفظ السنة وحفظ العلم يجوز أن تكون بجعل أي بمقابل بجائزة .

ب- القسم الذي بغير عوض مثل المسابقة على الأقدام واختلفوا في الغطس قال بعضهم يلحق بالأول لأنه يعين على الجهاد فمسابقه الأقدام تجوز بدون جائزة بغير مقابل هذا مثال .

ج-المحرم : مثل نقر الديك . مناطحة الكباش . مصارعه الثيران لا تجوز لا بجائزة ولا بغير جائزه لانه فيها تعذيب للحيوان .

ما حكم الملاكمة ؟ لا تجوز لأن فيها ضربًا على الوجه وأيضا هناك مسابقات اخرى غير جائزة لأن فيها كشف

عورات مثلاً أو فيها قمار مثلاً .

١٦ - إنباء المشكوك في أمره بذلك لعله يتوب قال : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ .

١٧ - الصبر الجميل ما هو الفرق بينه وبين الصبر العادي[٨]

الصبر الجميل : قال العلماء الذين ليس فيه تشكي ولا جزع يعني يصبر بدون تشكي ولا جزع

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾ .

١٨ - البشارة بالأمر السار ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ ﴾ وقد تكون البشارة بالأمر السيئ ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٢] لكن

---

(١) تكررت هذه الفائدة فيما بعد برقم سبعون .

(٢) **قال ابن سيده:** والتَّبْشِيرُ يكون بالخير والشر كقوله تعالى:

اكثر ما تستعمل البشارة في الأمر الحسن ويجوز إعطاء مقابل لمن بشرك بالخير كما أن كعب ﷺ لما جاءه الذي يبشره بتوبة الله عليه خلع له قميصه فأعطاه إياه [١] . فمن بشرك وقال نجحت . . جاءك ولد أو بشرك بأمر طيب أنك تكافؤه على البشارة بهدية بأي شيء يرضيه أو بأي شئ يطيب نفسه لقاء ما أدخل السرور على نفسك والبشارة تدخل السرور عليه فقول العامة : (هات البشارة) يعني له وجه .

١٩ - أن الشراء يطلق على البيع والشراء [٢] قال : ﴿ وَشَرَوْهُ

= ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (لسان العرب ٤ / ٦١) .

(١) قوله في حديث الثلاثة الذين خلفوا وهو في الصحيحين : (يا كعب بن مالك أبشر) وقوله : (فذهب الناس يبشروننا) فيه دليل لا ستحباب التبشير والتهنئة لمن تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة شديدة ونحو ذلك هذا الاستحباب عام في كل نعمة حصلت وكربة انكشفت سواء كانت من أمور الدين أوالدنيا قوله : (فخررت ساجدًا) دليل للشافعي وموافقيه في استحباب سجود الشكر بكل نعمة ظاهرة حصلت أو نعمة ظاهرة اندفعت قوله فآذن الناس أي أعملهم قوله فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته فيه استحباب(شرح النووي لمسلم ١٧ / ٩٥) .

و أيضًا يسن ويستحب للذي جاءته بشرى أن يسجد لله شكرا في حينه أي في أي وضع ليس شرطا أن يكون متجهًا للقبلة وليس شرطا أن يكون على وضوء وليس له ذكر خاص .

(٢) **شري**: شَرَى الشَّيْءَ يَشْرِيه شِرًى وشِراءً واشْتَراه سِواءٌ، وشَراهُ =

بثمن بخس ﴾ يعني باعوه بثمن بخس وكلمه شراء في اللغة تطلق على البيع أيضًا[١] .

٢٠- أن بيع الحر وأكل ثمنه من الكبائر العظيمة[٢] وهكذا فعل هؤلاء باعوا حرًا وأكلوا ثمنه .

٢١- منة الله على يوسف أن جعله يتربى في بيت عز[٣]

= واشْتَراهُ: باعَه . قال الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يَشْري نفسه ابْتغاءَ مَرْضَات الله** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **وشَرَوْهُ بثمن بَخْسٍ دراهم مَعْدُودَة** ﴾؛ أي باعوه. وقوله عز وجل: ﴿ **أولئكَ الذين اشْتَرُوا الضلالة بالهُدى** ﴾؛ قال أبو إسحاق: ليس هنا شراءٌ ولا بَيعٌ ولكن رغبَتُهم فيه بتَمَسُّكِهم به كرَغْبَة المُشْتَري بماله ما يَرْغَبُ فيه، والعرب تقول لكل من تَرك شيئاً وتمسَّكَ بغيره قد اشْتراهُ (**لسان العرب ١٤ / ٤٢٧**)

(١) وهذا في اللغة يسمى (الأضداد) مثل (قرء) يطلق على الحيض وعلى الطهارة منه) (يطيقونه) أي يطيقونه ولا يطيقونه . أي ان الكلمة تأتي بمعني ويمكن إن تأتي بضده في موضع آخر .

(٢) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره**» (**البخاري كتاب البيوع باب إثم من باع حرًا (٢ / ٧٧٦ / ح٢١١٤)**).

(٣) والحكمة في ذلك أنه على الرغم من تربيته في عز إلا أنه لم يفتن بذلك قبل سجنه ولا بعد خروجه وتمكنه من خزائن مصر وفيه أيضًا أنه لا حجة لمن قال: إن الدين يكون للفقراء فحسب دون الأغنياء .

وليس أن يكون ذليلا مهانا لذا قال عزيز مصر لامرأته ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا . . ﴾ .

٢٢- أن الشاب إذا نشأ في طاعة الله فان الله يؤتيه علمًا وحكمه . ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

٢٣- خطورة الخلوة بالمرأة[1] في البيت ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ فهذه الخلوة المحرمة تؤدي إلى المصائب العظيمة .

٢٤- كيد المرأة بيوسف فإنها استعانت عليه لإيقاعه في الحرام بأمور كثيرة :

---

(١) عن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والخلوة بالنساء ، والذي نفسي بيده ما خلا رجل وامرأة إلا خل الشيطان بينهما ، وليزحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» (الطبراني الكبير ٨ / ٢٠٥)

أولاً: راودته هي فلم يبدأ الشر منه ولكن بدأ منها والمرأة إذا دعت الرجل إلى الحرام غير إذا دعي الرجل المرأة للحرام لأنها إذا دعت الرجل إلى الحرام أزالت الحواجز النفسية فالرجل يخشى إذا دعا المرأة إلى الحرام أن ترفض أو تستنجد بأهلها لكن إذا المرأة دعته للحرام . ولذلك قال في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال[١] لماذا ؟ لأن الحرام صار سهلاً لأنها هي التي دعته .

فنعد الآن ما هي وسائل الجذب ؟

أولا : راودته .

ثانيا : هو في بيتها أي ليس غريبا يشك فيه إذا دخل البيت هو يدخل البيت عادي .

ثالثا: أنها غلقت الأبواب وغاب الرقيب وهذا أدعى للوقوع في الحرام .

---

(١) عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق ، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه» .البخاري (١ / ٢٣٤ح٦٢٩) مسلم (٧ / ١٢٢ح٢٣٧٧) .

رابعًا: أنها شجعته على ذلك وقالت هيت لك . تعال هيا .

خامسًا: أنه كان شابًا داعي الزنى عند الشاب أكبر .

سادسًا: أنه كانت سيدته لها عليه الأمر والنهى والطاعة .

سابعا: كان عبدا وداعي الزنى عند العبد أكبر من الحر لان الحر يخشى الفضيحة أما العبد فينظر إليه من مستوى أدنى .

ثامنا : أن الرجل كان غريبًا عن البلد والغريب ممكن لا يخشى الفضيحة مثل بن البلد ويوسف كان غريبا .

تاسعًا : أن المرأة كانت جميلة وداعي الزنى بالجميلة أكبر .

عاشرًا :إن المرأة كانت ذات سلطان تدافع عنه يعنى عن حبيبها فيكون داعي الزنى أكبر .

حادي عشر :أن زوجها ما عنده غيرة فهو بالرغم من علمه بما حصل إلا انه أبقى الحبل على الغارب ما أخرج يوسف فصله عن زوجته بقى الأمر كما هو عليه فقط يعنى (أعرض عن هذا . .) (استغفري لذنبك . .) ولَمَّ الموضوع .

ثاني عشر :أنها استعانت عليه بكيد النسوة زيادة .

ثالث عشر :أنها هددته بالسجن .

إذا هناك أسباب كثيرة جدًا داعية إلى أن يزني ومع ذلك صمد فلم يزنِ وبالتالي فإنه بلغ عند الله شأنًا عظيمًا .

٢٥- أن الله تعالىٰ يعين أولياءه في اللحظات العصيبة بأمور تثبتهم ﴿ **لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ فهو إذًا كاد . . كاد لكن برهان من الله أراه إياه جعله ينصرف فالله يعين وليه في اللحظات العصيبة . ما هو هذا البرهان ؟ قيل : رأىٰ وجه أبيه يعقوب قيل رأىٰ كف يعقوب يمدها كذا قيل وقال لكن ما علىٰ ذلك أدلة لكن يكفي أن نقول انه برهان من الله ليوسف صرفه عن هذا الحرام .

٢٦- أن الإنسان لولا معونة الله لا يثبت علىٰ الحق . لولا توفيق الله وتسديده لا يثبت علىٰ الحق . ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ** ﴾ [1].

---

(١) وثبت ذلك أيضا لنبينا ﷺ: ﴿ **وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً** ﴾ **[الإسراء ٧٣-٧٤]** . . . وعند الترمذي من حديث أنس قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» ، فقلت : يا رسول الله آمنا وبك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : «**نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء**» . قال أبو عيسىٰ : وفي الباب عن النواس بن سمعان و أم سلمة وعبيد الله بن عمرو وعائشة ، وروىٰ بعضه عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح . **(٤/ ٣٩٠ ح٢١٤٠)**

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾

٢٧- أن شهادة القريب علي قريبه أقوى من شهادة البعيد على القريب ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ قال ابن عباس : هو رجل كبير ذو لحيه وهذا أصح مما قيل انه صغير أنطقه الله أما قصه الرضيع فضعيفة في الشاهد هذا والراجح أنه رجل كبير ذو لحيه وفيه العمل بالقرائن كما تقدم . يعنى إذا كان قميصه ممزق من الخلف معناه هي التي تطارده وهو يهرب . لو كان قميصه ممزق من الأمام هو يهجم عليها وهي تدافع عن نفسها .

٢٨- عظم كيد المرأة قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ والذي يتأمل كيف حاكت هذه المرأة المؤامرة وغلقت الأبواب وقالت هيت لك واستعانت بالنسوة ليسجننه وليكو نن من الصاغرين . يعني يرى فعلاً أن المرأة إذا أرادت أن تكيد . . تكيد هذا شيء خلقه الله واستعظمه .

٢٩- عظم جمال يوسف عليه السلام الذي أخذ بالألباب وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن يوسف أوتي شطر الحسن**»[١] نصف جمال العالم في يوسف عليه السلام.

﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)** ﴾

٣٠- سرعة سريان الشائعات بين النساء ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ** .. ﴾ وكالة الأنباء مجرد ما يطلع خبر بالذات مثل هذا إلا وهو في البلد منتشر ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ** .. ﴾ دارت الأخبار بسرعة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه. ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ** ﴾ وهذا كيد النساء في بعض. تريد أن ترد الآن.. فجمعتهن

---

(١) جزء من حديث الإسراء قال ﷺ: «ثم عرج بي إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه: ففتح لنا. فإذا أنا بيوسف ﷺ. إذا هو قد أعطي شطر الحسن. قال: فرحب ودعا لي بخير». **مسلم (كتاب الإيمان ٢ / ٣٨٤ / ح٤٠٩) مسند أحمد (٣ / ٦١٦) من حديث أنس رضي الله عنه**

وأعددت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهم هو خادم في البيت يطيع رغما عنه اخرج عليهن خرج عليهن فلما رأينه انشغلن بجماله عن السكاكين التي تعمل في الأيدي وقطعن أيدهن وسالت الدماء بدون إحساس وهذا يدل على شده جمال يوسف عليه السلام لدرجه أن ألم تقطيع الأيدي ما عاد يشعرن به أمام رؤية يوسف عليه السلام .

٣١- أن الملائكة يمتازون بجمال الخلقة وإن هذا استقر عند الناس لذلك النسوة هؤلاء لما رأين جمال يوسف ﴿ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ فعند الناس مستقر أن الملك جميل الخلقة والشيطان قبيح جدًّا . قيل : إن الجاحظ كان جالسًا - وهو من المعتزلة مبتدع وإن كان ألف كتبًا وهو أديب بارع لكن في العقيدة منحرف - فجاءت امرأة مع صائغ وقالت مثل هذا وأشارت إلى الجاحظ ثم انصرفت . الجاحظ استغرب فذهب تبعه حتى وصل إلى المحل قال : ما هذا ؟ قال : هذه امرأة جاءتني فقالت : اعمل لي حليًا عليه صوره الشيطان فقلت لها : وما أدراني ما صوره الشيطان حتى أعملها لك ؟ قالت : ورائي فقادتني إليك فقالت مثل هذا . فاستقر في أذهان الناس أن الشيطان شكله قبيح وان الملك شكله جميل . والله عز وجل قال عن جبريل : ﴿ **ذُو مِرَّةٍ** ﴾[1] إي

(١) النجم (٦) .

جمال قال عن شجره الزقوم ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينَ ﴾[١] في القبح .

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾

٣٢- أن المسلم إذا خير بين المعصية وبين الصبر على الشدة . يصبر على الشدة ويؤثر أن يطيع الله ولو رموه بسوء ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ واستعانة يوسف بالله ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يعني الإنسان ضعيف ويوسف يقول هذا أن الإنسان بدون توفيق من الله ضعيف والمقاومة تنهار فأي واحد يتعرض لحرام المفروض أن يلجأ إلى الله بالدعاء أن يخلصه من هذا وانه يصرف عنه الشر والفحشاء .

٣٣- استجابة الله لأوليائه والدعاة المخلصين ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ يسمع دعاء عبده ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحال هذا العبد الذي يدعوه .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ

---

(١) الصافات (٦٥) .

خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) ﴾

٣٤- أن سيما الصالحين تعرف في وجوههم . يعني الآن اثنان في السجن ومعهم يوسف فلماذا لجئوا إليه ؟ هل هما يعرفان يوسف من قبل أنه صاحب علم ؟ انه يعبر أحلام ؟ لا فلماذا لجأا إليه ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني عليك سيما الصلاح وعلامات الصالحين -إذًا أهل الصلاح يظهر عليهم والناس يحبونهم وينجذبون إليهم - رغم انهم من الكفار ساق الملك وخباز الملك والملك كافر والبلدة كافرة ويوسف هو الموحد الوحيد لجأا إليه إنا نراك من المحسنين . . حالتك وسيرتك وهيئتك وأفعالك . . أنت شخص من المحسنين . كما يقول العامة : (من أهل الله) .

﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ

تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ .

٣٥- أن الداعية إذا أراد أن يلقن أناس الحق فانه يجعلهم يثقون به ويطمئنهم بأنهم قد وقعوا على مليء . كما قالوا عن الخبير تقفي . . إذا أردت السؤال فعن الخبير تقفي . قال : ﴿ **لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ** . . ﴾ قبل الجواب أولا : كسب الثقة . الداعي يحتاج أولا إلى كسب ثقة المدعو وهي قضيه مهمة . بعض المدعوين قد يلجأ إلى داعية فلابد أن يكون الداعية مليء عنده ما يعطيه ويثق فيه ﴿ **قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي** ﴾ وبدأ قضية الدعوة للتوحيد وهي الفائدة التالية .

٣٦- أن الداعي أول ما يبدأ به التوحيد . أرسل الرسول ﷺ معاذ إلى اليمن وقال : «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم : أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من**

أموالهم ، وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس» (١)

قال : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ ﴾ وقال قبلها ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

ثم بدأ ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ مع أنهما سائلاه عن رؤيا وينتظران الإجابة عن الرؤيا لكن ما كان ليجيب حتى يعلمهم ما هو أهم ولذلك النبي ﷺ لما جاءه أعرابي يسأله عن الساعة وقال : متى الساعة؟ قال : «**ما أعددت لها ؟**» . يعني ما هو الأهم الآن معرفة وقت الساعة أم الاستعداد لها فصرف السائل عن الأقل أهميه إلى الشيء الأكبر أهميه . هذان سائلا عن الرؤيا فجاءتهم الإجابة أولاً بالتوحيد .

٣٧- أن تعبير الرؤيا فتوى ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ولذلك قال العلماء : لا يجوز لمن لا يعرف في تعبير الرؤى أن يتكلم فيها فبعض الناس عندما تقص عليه رؤيا يقول (أجرب) إيش أجرب ؟ إما عندك علم ولا ما في شيء أسمه أجرب ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .

---

(١) البخاري(٢/ ٥٢٩/ ح١٣٨٩) مسلم(١/ ١٤٨/ ح١٢٣)

ذكر الشيخ سعد بن سعدي رحمه الله أن الكلام في الرؤىٰ مثل الفتوىٰ والكلام عليه بغير علم يأثم مثل الفتوىٰ بغير علم .

٣٨- جواز اتخاذ الأسباب الجائزة للنجاة قال ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ حتىٰ إذا خرج ذكر القصة للملك والملك ربما يجري تحقيقًا في الموضوع يخرج بسببه يوسف من السجن بريء . لكن الشيطان يفعل الكيد بأولياء الله فأنسىٰ الرجل هذا بعد ما طلع من السجن ويمكن فرح أن صاحبه قتل وهو نجا فأنسته الفرحة القصة القديمة ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ادكر[1] هذه أصلها بالذال والتاء (اذتكر) علي وزن افتعل وهما متقاربتان فالتاء ثقيلة بعد الذال فقلبت دال . . والذال والدال ثقيلتان متتاليتان فأدغمت الذال والدال فصارت دال مشددة والتشديد دليل علي وجود إدغام أي أن هناك حرف دخل في حرف .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ

(١) **الذكر**: الحفظ للشيء تذكره . وتذكره واذكره وادكره واذدكره ، قلبوا تاء افتعل في هذا مع الذال بغير إدغام . . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾؛ أي ذكر بعد نسيان ، وأصله اذتكر فأدغم . (لسان العرب مادة ذكر)

أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) ﴾

٣٩- أن الرؤيا الصحيحة الحق ممكن يراها الكافر لكن نادرا لأن الملك هذا الذي رأى سبع بقرات سمان وسبع سنبلات هذه رؤيا حق تعبيرها فعلا حصل ودلت على أن هناك سبع سنوات خصب ثم سبع سنوات عجاف وبعد سنه يأتي فيها الفرج فممكن الشخص الكافر يرى رؤيا صحيحه لكن نادرا . إنما أكثر ما يرى الرؤيا الحق الصحيحة المؤمنون .

٤٠- أن الشخص الذي ذهب ليوسف علمه يوسف من غير مقابل . . يعني يوسف ما قال أولاً أخرجوني وبعدين أخبركم ما هو تأويل الرؤيا كان ممكن يقول طلعوني من السجن أتكلم . خلوني في السجن ما أعطيكم روح . . فبذل يوسف العلم بلا مقابل . لما قال ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ مباشرةً .

٤١ – أن هذه الآية من أصول الاقتصاد وحفظ المال ما فيها . لماذا ؟ لأنه قال ذروه في سنبله وإذا فرط الحب معرض للتلف أكثر مما إذا بقي في السنبل لذلك قال ﴿ **فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ** ﴾ لأنه أحفظ . .

إلا قليلاً مما تأكلون إذًا لابد من الاحتياط والأخذ من أيام الرخاء لأيام الشدة فالآن تأكلون قليلاً منه والباقي يخزن ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ هذه أصول الاقتصاد . كيف النبوة فيها تخطيط للمستقبل ومواجهة الحالات الطارئة فيها السبع سنوات العجاف تأخذ مثلاً من السبع السنوات التي قبلها كيف قضية التخزين وكيف قضية تقسيم الأشياء علي كل سنة . فكل سنة لها نصيب بحيث أن ترحيل الأشياء من سنة إلي سنة لكي تحصل سد الحاجة .

٤٢ – كيف عرف يوسف أنه سيأتي عام رقم خمسة عشر رخاء يعني قال ﴿ **سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾

فسرها يوسف سبع سنوات رخاء ثم سبع سنوات شدة من أين أتى يوسف بأنه سيأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يعني عام خمسة عشر هذا رخاء فيه مطر والناس يعصرون الزيتون ويستخرجون الزيت والسمسم إلى أخره . . يعصرون . . يعني من الرخاء ويغاث الناس بالمطر ؟ قيل إن هذا مما فهمه الله ليوسف وعلمه إياه لأنه لو كان عام رقم خمسة عشر عام جدب وقحط ما صارت سبع بقرات هزيله وسبع سنبلات يابسات كانت صارت ثمان سنبلات وثمان بقرات هزيله فلما رأى سبعه ثم سبعه معناه أن الذي بعدها ليس جدب وإلا صارت ثمانية فهذا من دقائق الفهم علي أية حال ومما علمه الله ليوسف .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) ﴾

٤٣ - أن الداعية إلى الله لا يخرج إلا بعد تبرئة ساحته ليخرج إلى المجتمع نظيفًا يعني الآن سمعة يوسف بين الناس ملطخة بالشائعات ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** (٣٥) ﴾ أشاعوا عليه التهم الباطلة وقالوا أنه راود امرأة العزيز وكذبوا عليه . فلا بد أول أن تثبت براءة يوسف أمام الناس لا بد من تنظيف السجلات الماضية وإعادة الأمر ناصعا وإحقاق الحق ولذلك لما جاء الملك أعجب بالتفسير جداً -وهذه فيها مكانه له أي الملك لأنه بسبب رؤياه ستكون هناك سياسة لإنقاذ الشعب فلا شك أنه سر بهذا- فأراد مكافأة يوسف فلما قال أتوني به ما خرج يوسف علي طول والنبي ﷺ تواضع جداً لما قال : « **رحم الله أخي يوسف لو كنت مكانه لأجبت الداعي** » [١] تواضع منه قال هذا . فيوسف عليه السلام

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه ، والله يغفر له ، حيث أرسل ليستفتى في الرؤيا ، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج ، وعجبت لصبره وكرمه ، والله يغفر له أتي ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ، ولو كنت أنا لبادرت الباب ، ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾** » . **معجم الطبراني الكبير (١١ / ١٩٩)** والحديث ضعيف فيه إبراهيم بن يزيد ثقة ولكنه يرسل ويدلس(**تقريب التهذيب ١ / ٩٥**) وعزاه الهيثمي في (**المجمع ٧ / ٤٠**) للطبراني وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك .

عنده نظرة بعيدة ما مهم الآن أن يخرج من السجن فقط ؟ المهم إصلاح الأخطاء الماضية إصلاح المفترئ عليه . لا بد أن تعاد الأمور إلي نصابها ويصحح الخطأ ويثبت أنه بريء أمام الناس وأنه مظلوم كل هذه السنوات في السجن مظلوم ﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ هذه العلاقة المشهورة للقصة أن النساء قطعن أيديهن في مجلس . . اشتهرت

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ واعترفت امرأة العزيز وبالتالي ثبتت براءة يوسف أمام كل الناس ولذلك لما جاء الطلب مرة ثانية زاد منزلة عند الملك ففي المرة الأولى ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِهِ ﴾ وفي الثانية ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ شوف الفائدة لو خرج أول مرة خلاص خذ مائة ألف ومع السلامة لكن لا ؟ أنت فسرت الرؤيا أخذت . . الآن ما المسألة أنت فسرت رؤيا خذ مع السلامة . . الآن أستخلصه لنفسي . . الآن هذا يعني سيكون مقربًا عنده حظيًّا ملبي طلباته من المقربين ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ .

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ

خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾

٤٤- جواز طلب المنصب(١) إذا كان الشخص أقدر واحد

---

(١) باب ما يكره من الحرص على الإمارة . عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**» . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين : أمرنا يا رسول الله وقال الآخر : مثله ، فقال : «**إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه**» .

وعند الطبراني من حديث زيد بن ثابت رفعه : «**نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها ، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها تكون عليه حسرة يوم القيامة**» وهذا يقيد ما أطلق في الذي قبله ، ويقيده أيضًا ما أخرج مسلم عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال : «**إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**» قال النووي : هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ولا سيما لمن كان فيه ضعف . وهو في حق من دخل فيها بغير أهليه ولم يعدل فإنه يندم على ما فرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة ، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار ، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم ، ولذلك امتنع الأكابر منها والله أعلم .

قال المهلب: الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك ووجه الندم أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها لأنه يطالب بالتبعات التي ارتكبها وقد فاته ما حرص عليه بمفارقته ، قال : ويستثنى من ذلك من تعين عليه كأن يموت الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره ، =

علي القيام به دون أن يضر بنفسه ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ ﴾ وبين قدراته للملك ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ فجواز أن يذكر الإنسان قدراته ليطلب المنصب لمصلحة المجتمع وليس لمصلحته الشخصية جائز . . يوسف هل طلب الآن لمصلحته الشخصية ؟ لا . . لكن لأجل مصلحة البلد كلها ثم هو يستثمر المنصب في الدعـــوة إلي الله . . ليس طلب المنصب لشيء شخصي وإنما لمنفعة دينية ولمنفعة عامة وليست خاصة . ثم أنه ما في واحد أقدر من يوسف علي مسك المنصب هذا ماضي . . فيجوز للأقدر أن يتقدم إذا كانت نيته نفع المسلمين .

٤٥ - أن الله يمكن للصالحين إذا حسنت نواياهم . قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ . لما سئل الشافعي أيهما أفضل أيبتلى أم يمكن ؟ أيهما أفضل للشخص أيبتلى أم يمكن ؟ أي السؤال أيهما أفضل

= إذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال . قلت : وهذا لا يخالف ما فرض في الحديث الذي قبله من الحصول بالطلب أو بغير طلب أو في التعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أعطي بغير سؤال لفقد الحرص غلبًا عمن هذا شأنه ، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه لكونه يصير واجبًا عليه ، وتولية القضاء على الإمام فرض عين القاضي فرض كفاية إذا كان هناك غيره **(فتح الباري ١٦ / ٢٠)**

للمسلم أيبتلى ويصبر على الابتلاء وعلى الأذى والاضطهاد وكذا وكذا ويؤجر عليه أو الأفضل أن يمكن حتى يستفيد من التمكين في نشر الدين ونشر الدعوة ؟ إيش الأفضل؟ . . قال عبارة عظيمة : (لا يُمَكَّن حتى يبتلى) ليس هناك تمكين يأتي هكذا من الهواء والنبي ﷺ ما مكن في المدينة حتى ابتلي في مكة وكذلك الصحابة ويوسف مثال . . متى مكن ؟ بعدما أبتلي بالجب وبالسجن وبالذل وبالعبودية . . أولا رموه في الجب فصبر على كيد أخوته وظلم أولي القربى أشد فظاظة على النفس

ظلمه أقرب الناس له أخوته وكاد يموت ويهلك وبعدين أخذوه وبيع عبدا وعانى ذل العبودية واشتغل خادم ودخل السجن ثم لما صبر على كل هذه جاء التمكين فما جاء التمكين ليوسف هكذا مباشرة قال الشافعي : (لا يُمَكَّن حتى يبتلى) سنة الله في الدعوات وهكذا حصل لأنبياء الله والأولياء.

يعني موسى تغلب على فرعون بعد إيش ابتلاءات كثيرة ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا . . ﴾ كلها ابتلاء ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ وهذا ما حصل بعد ذلك ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ . . ﴾ لكن بعد الابتلاء .

والنبي ﷺ كم أوذي بالحصار والجوع والتعذيب وقتل

أصحابه وكان يضرب الصحابي حتى لا يستطيع أن يستوي قاعدا من الضرب ويقال له هذا الجعل إلهك فيقول نعم من التعذيب وهكذا حتى أن الله مكنهم .

٤٦- اجتمع ليوسف الثلاث أنواع للصبر . هي الصبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على أقدار الله المؤلمة . وهذا الصبر درجات فالصبر على طاعة الله وعن معصية الله أعلى درجه من الصبر على أقدار الله المؤلمة لماذا ؟ لأن الصبر على أقدار الله المؤلمة مالك فيه حيلة إلا الصبر . ماذا تفعل إلا الصبر ؟ لا يمكن شيء مقدور وقع وانتهى مالك الآن فيه إلا الصبر . أما الواجب والمحرم فعندك خيار في فعل الواجب أو عدم فعل الواجب . . في ارتكاب المحرم أو عدم ارتكاب المحرم . . فتكون مجاهدة النفس فيه أقوى أما المقدور مالك فيه إلا حبس النفس عن التشكي والصخب والنياحه ونحو ذلك . لكن فعل الواجب وترك المحرم والصبر على فعل الواجب . . الصبر على صلاه الفجر وهذا مثلاً واجب كما الصبر على الزنا وهو محرم أكمل أجراً ومنزلة على الصبر على أقدار الله المؤلمة . . ولو سألنا سؤالاً فقلنا : أيهما أكمل . . صبر يوسف على السجن وإلقاء إخوته له في الجب اكمل أم صبره عن الزنا بامرأة العزيز أكمل ؟ بناء على ما تقدم يكون الصبر عن الزنا أكمل وأفضل أجراً .

فاجتمع ليوسف عليه السلام الثلاث أنواع كلها فانه صبر على طاعة الله ولا زال على صله بربه وحتى لما تسلم المنصب صبر على طاعة الله ولم يطغه منصبه فهو يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم تولى فعدل وحكم فكان من المقسطين .

ما هو الفرق بين القاسط والمقسط ؟ القاسط هو الظالم قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ** .. ﴾ .

أما المقسط قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ « **إن المقسطين على منابر من نور وما ولوا** » [1] فإذا تولوا ولاية عدلوا فيها وبين أولادهم وزوجاتهم يعدلون . فيوسف تولى الولاية وصبر وأمره الله بما أمره به وصبر وحصلت له فرصه للوقوع في المحرمات فصبر ولم يقع فيها وتعرض للإيذاء والاضطهاد والأشياء المؤلمة فصبر فكان يوسف عليه السلام قد اكتمل له الصبر من جميع الجهات

﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا**

---

(١) في حديث زهير قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين، عند **الله ، على منابر من نور ، عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » . مسلم (١٢/ ٤١٥)**

لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) ﴾

٤٧- لو قال قائل: كيف عرفهم وهم لم يعرفوه؟ فالجواب أنه فارقهم وهو صغير وهم كبار فالصغير يتغير عليك إذا رأيته بعد عشر سنوات لكن أنت لا تتغير كثيراً إذا كنت كبيراً فلو مثلاً واحد عمره ثلاثين ثم رأيته عمره أربعين ما يتغير عليك كثيراً لكن إذا رأت عمره عشرة وبعد ذلك رأيت عمره عشرين تغير عليك كثيراً مع أن العشر سنوات هي هي . إذا هو عرفهم وهم لم يعرفوه لأنه فارقهم وهو صغير وهم كبار فلما رآهم بعد هذه المدة . . يعني عد كم جلس في قصر العزيز وكم جلس في السجن وكم جلس وزيرا حتى جاءوا إليه بعد سبع سنوات سمان لنا بدأت العجاف جاءوا يطلبون المدد إذا أقل شيء عندك واحد وعشرون سنه تقريبا لبث في السجن بضع سنين وهذه سبع سنوات سمان غير المدة التي قضاها بعد الجب وشروه بثمن بخس وفي قصر العزيز مده فهي قرابة واحد وعشرين سنه تغير يوسف عليهم كثيراً .

ثم هم عددهم معروف وإذا كان بعضهم تغير فبعضهم لا يتغير كثيراً فلما رأى العدد وهم لم يتغيروا كثيراً عليه ولا شك انه صاحب فراسة أكثر منهم وهو لا يتوقع أن يأتوا وهم لا يتوقعون إطلاقًا أن الذي رموه في الجب هو الآن وزير . فهذه

العوامل مجتمعة من أسباب أنه عرفهم وهم له منكرون .

٤٨ - ذكاء يوسف عندما قال : ﴿ **قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ** ﴾ . لما جهزهم بجهازهم وأعطاهم من الميرة وما يحتاجه المسافر قال ائتُوني بأخ لكم من أبيكم . . وقيل : إن هذا حصل بأنه استدرجهم ليقصوا عليه قصته يعني من أين أنتم ومن انتم ومن أهلكم ومن أبوكم كم عدد الأولاد كم عدد أفراد الأسرة هذا شيء وارد أن يسأل وزير التموين أو الشخص المكلف بتوزيع الحصص أو الميره في السنوات العجاف أن يسال عن عدد أفراد الأسرة لكي يعطيهم على حسب عدد الأسرة . فلما قالوا باقي واحد في البيت فقال حتى أصدقكم هاتوا هذا الذي تقولون أنه باقي في المرة القادمة حتى تكونوا صادقين في الادعاء وإلا لا أعطيكم شيئًا أبدًا فأوجد عندهم الحافز بأن يأتوا بأخيهم لأنه اشتاق إليه ويريد أن يراه وعلى أية حال يوسف مؤيد بالوحي فما يفعله من الأمور في عدد منها يحتمل انه وحي من عند الله أوحى به إليه .

٤٩ - إكرام الضيف وتزويد المسافر بما يحتاج ﴿ **أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** ﴾ وأنه ينبغي على المسلم أن تكون هذه عادته المستمرة . ﴿ **أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ** ﴾ لكم ولغيركم .

٥٠- جواز اتخاذ الحيلة المباحة للتوصل للمقصود المباح .
فانه قال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يعني الأوعية التي جعلوا فيها الطعام والبضاعة التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام اجعلوها في رحالهم وأعيدوها فيها حتى إذا انقلبوا إلي أهلهم وفكوا المتاع عرفوا ذلك بأنهم أخذوا الطعام منا بلا ثمن فيحملهم ذلك زيادة على العودة . فإذا اكتشفوا ذلك سيقولون نسوا أن يأخذوا منا الثمن . الآن لابد أن نرجع ونعيد الثمن إليهم . . يوسف يريدهم أن يرجعوا بأخيه ﴿ **اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ . فتوصل بالحيلة المباحة إلى المقصود المباح . لأن بعض الناس قد يكون عندهم قصد مباح ويتخذ إليه وسيله محرمه . مثلا يقول أريد أن أتى بزوجة لابد لي من شهادة زور فيكذب أو يزور لأجل هذا وهذا لا يجوز وأخبث الناس من يتوصل إلي الحرام بوسيلة حرام كمن يتوصل إلي الزنا بالتعارف المشبوه أو الكلام مع النساء الأجنبيات وغير ذلك فالوسيلة حرام والقصد حرام وبعض الناس قد يقول أنا أريد أن أتحدث مع النساء لأتوصل إلي زوجة فقد يكون يريد الزواج لكن الوسيلة حرام وإبليس يغويه فيجعل قصده حرام والوسيلة حرام فلابد إذا إن يكون المقصود حلال والسبيل إليه حلالاً .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) ﴾

٥١ـ أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين[1] فقال : ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ فالمؤمن كيس فطن لذلك يعتبر بما أصابه في الماضي ويمتنع عليه إن يحصل له مثلما حصل له من قبل بفطنته وذكاءه ولا يكون مغفلاً .

٥٢ـ أن التوكل على الله هو السبب في دفع المكروهات . فأن يعقوب لم يقل لن أرسله معكم فقط بل اعتمد على الله ﴿ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فتوكل يعقوب على الله عز وجل .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ

---

(١) عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» البخاري (٥ / ٢٢٧١ / ح٥٧٨٢) مسلم (١٨ / ٣٢٤ / ح٧٤٢٣).

مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) ﴾

٥٣ـ أن الإكرام-إكرام الناس- وسيلة إلى جذبهم .

قال الشاعر : (أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم)

لكن هذا البيت فيه أمور خطيرة لأنه قال تستعبد قلوبهم ونحن نؤمن أن العبودية لله . فالإنسان يستميل القلب بالمعروف نعم لكن لا يستعبد لأن العبودية هذه لله فلا يجوز للإنسان إن يستعبد غيره لا بالإحساس ولا غيره .

إذ الإحساس يستميل قلوب الناس ولذلك قالوا ﴿ **قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ** ﴾ هذا الرجل أكرمنا جدا أكرمنا لما قدمنا عليه وهذه بضاعتنا ردت إلينا فأرسل معنا أخانا .

٥٤ـ أن الإنسان إذا رأى أنه محتاج لفعل أمر لكن فيه نسبه مخاطره مع شخص أخر لأن فيه شئ من عدم الثقة . فان أخذ الموثق من الله وان يقول له عاهدني بالله العظيم أن تفعل كذا ولا تفعل كذا أن ذلك مما يقلل نسبه المخاطرة لذلك يعقوب قال ﴿ **لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ** ﴾ الموثق الميثاق مثل أن يحلفوا له بالله العظيم أنكم تردون أخاكم وترجعونه ﴿ **لَتَأْتُنَّنِي بِهِ** ﴾ .

٥٥ـ أن الإنسان إذا غلب على أمره فهو معذور وهذا من فقه يعقوب حينما قال : ﴿ **إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ** ﴾ . فهو صح أن

يطلب منهم أن يردوا أخاهم لكن فيما يقدرون عليه لكن إذا غلبوا ولم يستطيعوا أبدًا فهم معذورون لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٥٦- أن إعلان التوكل على الله بعد إبرام العقود مما يزيدها بركة وخيرًا وتذكيرًا للطرفين بما تعاقدا عليه فماذا قال يعقوب ﴿ **قال الله على ما نقول وكيل** ﴾ توكلنا على الله وماذا قال موسى للرجل الصالح ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى..** ﴾ قال ﴿ **ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .. وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ فهاتان كلمتان من نبيين بعد إبرام العقود. إذا الإنسان أراد إن يبرم عقدا مهما في العقود فانه يبين التوكل على الله ليكون هذا واضح بين الطرفين وهذه عبارة أنبياء ينبغي أن يقتضي بهم فيها إذا أبرمت عقدا أو اتفاق فقل والله على ما نقول وكيل. فكل منهم يعظ نفسه بالله إن الله رقيب مطلع يشاهد ويشهد على هذا العقد وعلى الاتفاق وعلى هذا الميثاق.

﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦٨)** ﴾

٥٧- أن أخذ الأسباب للوقاية من العين أمر مشروع بدون وسوسه فان يعقوب قال لأبنائه ﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** ﴾ أولاد يعقوب كان فيهم جمال وهم عدد وذكور وإذا صار الواحد عنده ذكور وعدد وفيهم جمال هذه مجلبه للعين ولذلك يكون عدم ظهورهم كلهم معًا في مكان واحد أحسن .

٥٨- أن الإنسان المسلم عليه أن يدفع الريبة عن نفسه . . يعني إذا كان تصرف معين يجعل الناس يرتابون فيك فلا تفعل . . البلاد من زمان كان لها سور والسور له باب يدخل البلد ناس يخرجون ناس والأبواب تغلق في وقت معين يعني لو جاءت قافلة بالليل تنام عند الباب لثاني يوم الصبح . . فدخول هؤلاء العدد (إحدىٰ عشر) من باب واحد مره واحدة دفعه أتحده ممكن يثير الريبة أن هؤلاء يريدون شرا يريدون أمرا . . عصابة ولذلك قال ﴿ **لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** ﴾ فليس فقط من أجل قضيه العين وإنما من أجل ألا يثيروا الريبة فيهم . . لئلا يظن بهم ظن سوء . . أنهم لصوص . . يريدون أمرًا خطيرًا .

لذلك ينبغي علىٰ المسلم إذا كان بإمكانه أن يدفع الريبة عن نفسه عليه أن يفعل ذلك ولا يتصرف تصرفًا يثير الشبهة فيه .

٥٩- أن اتخاذ الأسباب لا يمنع من وقوع قدر الله . فان

القدر إذا كان سيقع فسيقع لكن العقل والشرع يقتضيان الأخذ بالأسباب لكن لابد أن يعرف الذي يتخذ السبب أن السبب لن يحول بينه وبين وقوع القدر إذا كان الله قد قضى من قبل أن القدر سيقع ولذلك قال يعقوب من فقهه- ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾- ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ممكن يقع بهم المكروه . ما هي النسبة الأكبر ؟ أن يقع بك المكروه إذا اتخذت الأسباب لمنعه ؟ أم إذا ما اتخذت الأسباب لمنعه أي النسبتين أكثر ؟ إذا ما اتخذت الأسباب لأن المكروه سيقع بك بنسبه اكبر . . ولذلك فان الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله لكن السبب لا يمنع بالضرورة قدر الله إذا كان الله عز وجل قد قضاه . قيل لابن عباس لما تكلم مره في القضاء والقدر قيل له : هذا الهدهد يرى مكان المياه في باطن الأرض فما بال الطفل يصيده ؟ أي له قدره غريبة على معرفة مكان الماء وقيل أن سليمان كان يستعين به في الأسفار وغيره قال ابن عباس : لا يغني حذر من قدر . . إذا اتخاذ الأسباب الشرعية مطلوب لكن لابد أن تعتقد أن السبب لا يمنع القضاء إذا أراد الله أن ينزله .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ

(٧٠) قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) ﴾ .

٦٠- إكرام الأخ أخاه . قيل نزل كل اثنين في غرفه فتبقى واحد وهو أخوهم الصغير لأن عددهم فردى (إحدى عشر) وقال ﴿ **قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ** ﴾ تأكيد . . فعرفه بنفسه . . وأكيد أن هذا الصغير يعرف أن أخ أسمه يوسف ربما كان يعرف أيضًا القصة ﴿ **إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ فلعله طلب منه أن يخفى أمره . الشاهد أنه أواه إليه وأكرمه وكيف لا يكون الإكرام وقد فرقت السنون بينهم في هذه المدة الطويلة .

٦١- أن يوسف عليه السلام أراد أن يأخذ أخاه بالحيلة الشرعية ولا يريد أن يأخذ أخاه على حسب دين الملك الجاهلي وإنما على حسب شريعة يعقوب . . في شريعة يعقوب كان السارق يؤخذ عبدا عند المسروق منه . . فأراد ذلك بحيله فماذا فعل ؟ لما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه . (بعض المغفلين قرأ جعل السقاية في رجل أخيه) ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون فاقبلوا عليهم ماذا تفقدون ؟ قالوا نفقد صواع الملك .

٦٢- أن الجعالة مشروعة وهي أن تقول من وجد ضالتي فله ألف مثلاً هذا جعل تجعل مبلغ مقطوع لمن فعل لك شيء معين . . هذه غير الإجارة فالإجارة العمل فيها معلوم والجعاله العمل فيها غير معلوم . لا تقول من وجد بعيري . . وجدان البعير ممكن يأخذ ساعة ممكن يأخذ سنه وأنت تبحث عن بعير الرجل . لكن لا يجوز أن يكون الجعل مجهولاً (من وجد محفظتي فله ما فيها) يمكن يطلع فيها ريال ويمكن يكون فيها ألف إذًا لابد من عقد الجعالة أن يكون الجعل معلومًا ولو كان العمل مجهول . قالوا ﴿ **وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ** ﴾ وحمل البعير معلوم أنه يحمل خمسين كيلو مثلاً من الطعام أو القمح .

٦٣- ﴿ **وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ** ﴾ جواز عقد الكفالة . يعني كفيل بحمل البعير فهذان عقدان بكلمتين من القرآن فهذا من بلاغه القران في كلمات بسيطة جدا مشروعيه عقد الجعاله والكفالة ثم بعد ذلك استدرجهم يوسف عليه السلام ﴿ **فَمَا جَزَآؤُهُ** ﴾ أنتم احكموا ﴿ **قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ** ﴾ الذي يوجد في رحله هو نفسه جزاؤه يؤخذ عندنا عبدًا .

﴿ **فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي** [illegible]

(٧٦) قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾

٦٤- أن الإنسان إذا أراد أمرا فعليه أن يهيئ له الأسباب لئلا ينكشف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لأنه لو بدأ بوعاء أخيه ووجده صارت مكشوفة لكنه بدأ بأوعيتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه وهذا يدل على إحكام الخطة فإن الله تعالى لما أراد أن يأخذ أخاه عنده هيئ الله له كل هذا وجعل الأمر يسير حتى يخرج أخوه يوسف وهو لا يشكون في الأمر وأن أخاهم سارق وأخذ أخاهم بشريعة يعقوب ولم يؤخذ بدين الملك .

٦٥- وجوب التحاكم إلي شريعة الله وعدم جواز التحاكم إلى القوانين الجاهلية والأنظمة الخبيثة وإنما إلى شرع الله عز وجل وكتابه وسنه رسوله ﷺ ﴿ **مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ** ﴾ ولكن بشرع الله .

﴿ **قَالُواْ يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩)** ﴾

٦٦- أن كتاب الله يجب أن يؤخذ ويعمل به بما أراده عز وجل والمقصود من الآية يعمل به أما ما ليس مقصودًا منها فلا يعمل به وهذا مبنى على قصه في هذه الآية ﴿ **قَالُواْ يَا أَيُّهَا**

الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ حصلت لأبي علي بن عقيل وهو واحد من أهل العلم الكبار الذين لهم منزلة كبيرة بين الناس حصل أن له والد يهيئه ويعلمه ويحبه جداً والناس يحبون الشيخ ويعرفون منزله ولده . . فمات الولد . . فالناس اكتئبوا وأصابهم الهم والغم والحزن بموت هذا الغلام لأنهم يحبون أباه ويعلمون كيف يحب هذا الأب ابنه فجاءوا إليه يعزونه وجاءوا إليه عند المقبرة ولما أنزلت الجنازة في القبر قام واحد من العامة فصرخ وقال ﴿ قَالُواْ يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ يعني بالعزيز الله عز وجل لأن العزيز اسم من أسمائه . . إن له شيخًا كبيرًا يعني هذا الولد فخذ أحدنا مكانه . . فضج الناس لذلك كثيرا انفعلوا وصرخوا وبكوا بكاء شديد فنهاهم الشيخ وقال : (يا أيها الناس إن القرآن لم ينزل ليثير الحزن لكن نزل ليعالج الحزن) أي القرآن نزل للحزين يسليه . . مكروب القرآن يفك كربه . إذًا بعض الناس يستعملون الآيات في غير ما أنزلت من أجله فالفائدة هنا أن الآيات ينبغي أن تستعمل فيما أنزلت من أجله وليس فيما لم تنزل لأجله .

٦٧- بدعة ما يفعله بعض الناس من استعمال الآيات في غير مواضعها إذا رأى موسى جاء قال : ﴿ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ وإذا أكل قال ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ حتى في تقدير الأفعال

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ تسعة وتسعون . . الكفار كانوا يستبعدونه كانوا يستبعدون فوز الروم وأنها ستغلب وكانوا يقولون : الفرس أقوى وفعلوا وفعلوا واحتلوا نصف مملكة الروم . . والله أوحي لنبيه أن الروم سيغلبون وفي بضع سنين وقريش لا يمكن أن تستوعب هذا وقالوا أبدًا لا يمكن وراهنوا الصديق علي إبل انه لا يمكن أن الروم ستغلب فراهنهم لكن أبا بكر لم يعطهم كل المدة يعني المعروف أن البضع من ثلاث إلى تسع فأعطاهم مثلاً سبع فجاءوا بعد المدة فلم تنته البضع إلا وغلبت الروم بقدر الله . . الشاهد من الكلام أن بعض الناس يستعملون القرآن في غير ما أنزل من أجله . . وهناك فرق بين الاقتباس الصحيح وبين ما سبق فمثلاً يقول البعض : كثرت الفتن وصار الناس في أمر مريج واختلطت عليهم الأمور فهذا اقتباس وهو صحيح . . وهذا غير العبث بالآيات كما قال محمد عبده زميل جمال الدين الأفغاني وعنده انحرافات كثيرة وجمال الدين كان أسوء منه بكثير وهذا محمد عبده كان يتناقش مع واحد نصراني وكان يقول النصراني : كيف تقولون أن القرآن فيه كل شيء فقال محمد عبده : نعم فقال النصراني : أين شراب الكوكا في القرآن؟ فقال : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ فهذا عبث . هذه أصلاً معروفة فعل وفاعل ومفعول به .

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ

أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) ﴾

٦٨- استعظام شأن العهد واستشعار المسئولية والعمل لتحقيق ما أخذ على الإنسان من الموثق الغليظ . فإن هؤلاء لما استيئسوا منه خلصوا نجيًا - وبعض الناس فهموا فهمًا خطأ وقالوا: هربوا وهذا خطأ - إنما يعني المسارة فيما بينهم والتشاور بكلام خاص بينهم ماذا نفعل ؟ وأشار ابن الجوزى بعدما بين خلصوا نجيًا قال فيمن فهموا فهمًا خاطئًا للآيات ﴿ **رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ** ﴾ قالوا: فيها صراصير الليل . وهذا خطأ شديد . وليس هذا هو المقصود ولكن البرد الشديد ﴿ **قَالَ كَبِيرُهُمْ** .. ﴾ وقال لا ابرح الأرض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي بان أخذ أخي أو تنتهي هذه المشكلة وفعلا وقف أخوه يوسف هذا الموقف الشديد في هذه الكربة . وهذا يختلف تمامًا عن حالهم لما تحايلوا وأخذوه وألقوه في غيابات الجب . فتغير حال أخوة يوسف وتابوا إلي الله بعد ذلك ويعنى في الحقيقة هم بدءوا القصة مجرمين أخذوا أخاهم ووضعوه بالبئر لكن بعد ذلك تابوا إلي الله ولعلهم حصل لهم تغير على مراحل هذه كانت مرحله من المراحل .

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾

٦٩- أن الإنسان يؤيد كلامه بالشواهد إذا احتمل التكذيب أي إذا كان كلامك محتمل أن يكذبه الشخص الآخر آت له بالشواهد فقالوا اسأل القرية التي كنا فيها اسأل العير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون . لأنه مادام الشك في كلامهم فليؤخذ الخبر من مصادر أخرى خذ من مصادر أخرى لكي تتأكد من كلامنا .

٧٠- أن الصبر الجميل عاقبته حميدة والفرق بينه وبين الصبر العادي . الصبر الجميل الذي لا يبوح فيه صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره لله .

٧١- حسن الظن بالله عز وجل وهذا من مقتضيات التوحيد وعكسه من قوادح التوحيد .

يعقوب كم سنه الآن بعيد عن ولده اكثر من عشرين سنه تقريبا ومع ذلك قال عسى الله أن يأتنى بهم جميعًا ما قال عسى أن يأتيني بالولد هذا الصغير الآن هو يعرف أنه حي لكن أسير في مصر عند الملك . . لكن هو يقول على هذا وعلى

الأول وما عنده يقين أن يوسف مات إلىٰ الآن وما يدري أين يوسف لكن لازال ظنه بالله قويًا ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا** ﴾ .

٧٢- أن البكاء لا ينافي الصبر ﴿ **وَقَالَ يَا أَسفي عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ** ﴾ فمن البكاء والدمع انقلب سواد عينيه بياضا من كثره البكاء . ما هو الفرق بين البكاء والنياحة ؟ وهل يجوز لمن مات له ميت أن يبكي عليه ؟

نعم يجوز والدمعه التي نزلت من النبي ﷺ كانت رحمه وشفقة [١] علىٰ الولد التي تفيض روحه في حجر النبي ﷺ والنياحة ليست بكاء إنما هي صراخ . . زعيق . . اعتراض علىٰ القضاء والقدر . البكاء ممكن يكون رحمة شفقة غلبة نفس . .

---

(٢٨) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : «**ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي، إبراهيم**»، ثم دفعه إلىٰ أم سيف ، امرأة قين يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتبعته، فانتهينا إلىٰ أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا أبا سيف ! أمسك، جاء رسول الله ﷺ ، فأمسك، فدعا النبي ﷺ بالصبي، فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول .

فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال : «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله! يا إبراهيم ! إنا بك لمحزونون**» . **مسلم (١٥ / ٧٤ ح٥٩٧٩) باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك** .

أما النياحه تسخط على القضاء والقدر وفيها شق الجيوب يمكن أن تشق الفستان أو الجيوب ممكن تحلق شعرها ممكن تلطم خديها أو يلطم وجهه هذا نياحه «**ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود**»[1] والنائحة عقوبتها شديدة يوم القيامة لها سربال من قطران ودرع من جرب أي ثوب من نحاس مذاب ودرع من جرب . . إلا أن تتوب إلي الله لأن النياحة من الكبائر .

﴿ **قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)** ﴾ .

٧٣- أن الإنسان المسلم يشكو إلى الله ولا يشكو أمره إلي الناس والشكوى للمخلوق هي شكوى الرحيم إلي الذي لا يرحم .

٧٤- الفرق بين التحسس والتجسس . . أن التجسس فيه الاطلاع على العورات والاستماع إلي حديث من لا يريدك أن تستمع إلى حديثه أما التحسس فهو تفقد الأخبار . . جمع

---

(١) قال النبي ﷺ : «**ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية**» .**البخاري(١ / ٤٣٥ / ح١٢٣٢) مسلم(٢ / ٢٩٢ / ح٢٨١)**

المعلومات بدون أن تسمع لحديث قوم لا يريدون أن تستمع لحديثهم ولا النظر من ثقب الباب أو اطلاع على عورات القوم والتجسس فيه الاطلاع على عورات القوم والاستماع إلي الحديث خفية وهذا حرام أما أن تسال وتقول: هل رأيت فلانًا ذهب من هنا؟ هل مر بك فلان؟ تجد مجلس عام تسمع الكلام ربما فيه معلومة تفيدك في البحث عن المفقود إذًا التجسس في الشر والتحسس في الخير التجسس وسائله محرمه والتحسس وسائله مباحة فقد تسال حلاقًا أو واحد في الطريق فتجمع معلومات للوصول إلي شيء مباح .

٧٥- تحريم اليأس من رحمه الله وأنه مناف للتوحيد وأن القنوط من رحمه الله مناف للتوحيد فهو أمر محرم ولا يجوز

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَاللّه لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾ .

٧٦- أن الله عز وجل يؤيد المظلوم ولو بعد حين ويجعله في منزله عالية إذا صبر وأتقى فكان أخوه يوسف الذين كادوا له جاءوا إليه اليوم متسولين شحاذين يقولون : مسنا وأهلنا الضر تصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين . أذلهم الله له هؤلاء الذين ظلموه أتى بهم الله أذلاء صاغرين يقولون : تصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين .

٧٧- أن الإنسان إذا رأى قريبه في ذل فإنه لا يزيد همه وذله بل يرق لحاله ويوقف المأساة فيوسف ما كان يريد أن يتشفى لو كان يريد أن يتشفى كان تركهم يسألون زيادة ويتذللون ويردهم مره ثانية وثالثة ويعذبهم لكن لما رأى الحال وصل بهم إلى هذا رفق بهم وأوقف الأمر وكشف الحقيقة ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ** ﴾ كشف الموضوع فالإنسان لا يتمتع بمآسي الآخرين فان بعض الناس عندهم هذا الأمر يمعن ويتمتع بالمآسي ويوسف عليه السلام لا يمكن أن يفعل ذلك .

٧٨- أن الإنسان لا يقول هذا المنصب بذكائي وصلت إليه وهذه المكانة بقدراتي الجبارة أنظر يوسف قال : ﴿ **قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا** ﴾ اعتراف لله بالمنة . . فالإنسان مهما وصل لا يغتر بما وصل إليه من مرتبه أو مرحلة ويردها إلى الله ﴿ **قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا** ﴾ اعتراف لله بالمنة

٧٩- الجمع بين التقوىٰ والصبر [١] وان الله يعقب العواقب الحميدة لمن يتقىٰ ويصبر .

٨٠- أن المسلم يراعىٰ مشاعر إخوانه فيوسف قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ .

٨١- العفو عند المقدرة [٢]

---

(١) الجمع بينهما مهم جداً اذ ان لو هناك تقوىٰ بدون صبر ففي اىٰ وقت ربما بذل قدم الانسان ولو هناك صبر بدون تقوىٰ فعند نفاد هذا الصبر يتصرف الانسان بحماقه وبغير تقوي . انظر حديث خباب رضي الله عنه قال شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا؟ قال : «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب . وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**» . **البخاري (٣/ ١٣٢٢ / ح٣٤١٦)**

(١) عفا: في أسماء الله تعالىٰ : العفو ، وهو فعول من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة . يقال : عفا يعفو عفواً ، فهو عاف وعفو ، قال الليث : العفو عفو الله ، عز وجل ، عن خلقه ، والله تعالىٰ العفو الغفور . وكل من استحق عقوبةً فتركتها فقد عفوت عنه . قال ابن الأنباري في قوله تعالىٰ : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ ؛ محا الله عنك **(لسان العرب)**

٨٢- الدعاء لمن أخطأ عليك بالمغفرة ﴿ **يغفر الله لكم** ﴾ فإذا واحد ظلمك قلت يغفر الله لك . . نعم فلك أجر عظيم

﴿ **اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)** ﴾ .

٨٣- معجزات الأنبياء فإن القميص لما ألقى على وجه يعقوب رجع بصيراً مع أن لو أب أعمى أتيت له بقميص ولده لا يحدث هذا فالله عز وجل يخرق العادة بمعجزات الأنبياء كما حصل في هذه المعجزة المشتركة ليوسف ويعقوب عليهما السلام بإلقاء القميص على وجه يعقوب فيرتد بصيراً[(١)]

---

(١) كيف علم يوسف أن أباه أصيب بالعمي ؟ قال العلماء أن الغيب نوعان غيب زمان وغيب مكان وإخبار يوسف بعمي والده في حينه ذلك من إخبار الله له بغيبيات المكان وهو ما يسمي غيب الحاضر لأنه يخبر بحدث حدث في نفس اللحظة ولكن في مكان آخر .

وعند القرطبي: وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي وقال الحسن : لولا أن الله=

٨٤- أن الأشياء المعنوية (١) يحس بها الإنسان يعني عندما يقول: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ هل يوسف ريحه يوجد في مصر إلى فلسطين؟ لكن هناك قوه خفيه الله أودعها في نفوس الناس يمكن أن تكون معجزه ليعقوب عليه السلام أن شم رائحة ولده عبر هذه المسافة الطويلة جداً.

٨٥- استحباب البشارة وأن البشير يسبق الناس الى المبشر ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ هذا أول واحد السابق الذي يسبق

= تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره وكان الذي حمل قميصه يهوذا قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته وأنا الذي أحمله الآن لأسره وليعود إليه بصره فحمله حكاه السدي. **تفسير القرطبي(٩/ ٢٥٩)**

(٣٣) يمكن القول بأنها مادية وليست معنوية لأن هذه المره كان معهم شيء مادي وهو القميص ذلك بخلاف كل مره ذهبوا ورجعوا لم يكن معهم شيء من مقتنيات يوسف فهم بمجرد أن فصلوا أي خرجوا من مصر وجد ريح يوسف انظر في تفسير القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام يقال فصل فصولاً وفصلته فصلاً فهو لازم ومتعد ﴿قَالَ أَبُوهُم﴾ أي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه فقال لمن بقي: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون﴾. قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه وبينهما مسيرة ثمان ليال وقال الحسن: مسيرة عشر ليال. **تفسير القرطبي (٩/ ٢٥٩)**

بالخبر السار يسمى بشير واستحباب البشارة واستحباب المكافأة على البشارة كما ورد في السنة [١] .

٨٦- طلب الاستغفار من الأب عند عقوقه فإنهم عقوا أباهم فما هي الكفارة إذا واحد عق أباه أو أمه؟ . أن يقول: يا أبي استغفر لي هذا من كفارات العقوق لأن هؤلاء قالوا: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ .

٨٧- اعترافهم بالخطأ بقولهم: ﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ .

٨٨- التماس أوقات الإجابة في الدعاء لأن يعقوب ما دعا مباشرة بل أخره بعض المفسرين أخر الدعاء إلى السحر[٢] . يعني سوف استغفر . . ولم يعجل بالدعاء لعظيم جريمتهم وأراد ان يخلص لله الدعاء ويتحرى ساعة الإجابة شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا

---

(١) انظر الفائدة رقم (١٨) .

(٢) أن رسول الله ﷺ قال: «تنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». **البخاري (٥ / ٢٣٣٠ / ح٥٩٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه**

وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾.

٨٩- إكرام الأبوين وبرهما لأنه أوىٰ إليه أبويه وضمهما إلي مسكنه الخاص والباقي أنزلهم في غرف الضيوف لكن أوىٰ إليه أبويه في مكانه الخاص . مثل أن يكون لك غرفه خاصة مهيئه مزينه فإذا جاء والدك أو والدتك تؤويهم في نفس المكان الذي أنت فيه ؟ أم في غرفه الضيف ؟ . . غرفه الضيف يمكن أن تكون لأي أحد لكن إذا أنزلتهم في مكانك الخاص فهذا زيادة إكرام وهذا ما يليق بالوالدين . . البر بهما . . آوىٰ إليه أبويه .

٩٠- أن تطمئن الخائف ﴿ **ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ آمنين لا خوف عليكم . مثل ما قال الرجل الصالح في قصة موسىٰ ﴿ **لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ لأن هذا ما يحتاج إليه الشخص الخائف .

٩١- ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ فيها مزيد إكرام كما تقدم .

٩٢- (١)

---

(١) ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ كان هذا جائز في شريعتهم ولا يجوز في شرعنا لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال : «لو كنت آمرا أحداً أن يسجد

٩٣- أن تأويل الرؤيا ممكن أن يقع بعد سنين طويلة . أي أن الإنسان يرىٰ رؤيا اليوم يتحقق تأويلها بعد عشرين سنه . . ثلاثين سنه وأنه لا يشترط أن يرىٰ الواحد الرؤيا اليوم غدا يقع تأويلها . لا . يمكن أن يكون هناك فارق كبير بين وقوع الرؤيا حقيقة وانطباق الرؤيا علىٰ الواقع وبين الرؤيا نفسها .

٩٤- الحفاظ علىٰ مشاعر الآخرين وعدم جرحها وإيذائها فإن يوسف قال : ﴿ **وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ ما قال بعد ما ظلمني إخوتي ما قال بعد ما ألقوني في الجب . . يعنىٰ وضع اللوم علىٰ الشيطان بدلاً من أن يضعه علىٰ أخوته وهذا من مكارم الأخلاق ومما يليق بالأنبياء . . هذه أخلاق الأنبياء .

٩٥- الاعتراف لله بالنعم في جميع الأحوال يتقلب فيها الإنسان ﴿ **أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ** ﴾ ﴿ **وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ** ﴾ أي منة من الله علي أن جمع شمل العائلة مره أخرىٰ وإخراجي من الجب نعمة . . وإخراجي من السجن نعمه . . ولم شمل العائلة نعمة .

٩٦- قال يوسف : ﴿ **أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ** ﴾

= لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» فإن شرع من كان قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ أو ينهَ عنه .

ولم يقل الجب فلماذا؟[١]

طبعًا يلاحظ أن يوسف هنا قال ﴿ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ ولم يقل الجب مراعاة لإخوانه لأنهم هم الذين القوه في الجب فأعرض عن ذكره بالمرة . . فأنت إذا ظلمك أحد أقربائك مثلاً فلا تقل الحمد لله انتهينا من المشاكل التي عملها فلان بل أعرض عن هذا واضرب عنه صفحًا ولا تذكره وهذا من مكارم الأخلاق . وهذا خلق الأنبياء ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ .

٩٧- بيان لطف الله تعالى أن الله لطيف . . اللطيف[٢] وأنه يلطف بعباده وكم لطف بيوسف فلم يجعله يموت في الجب ولا يجعله يبقى في السجن ولم يبقى فقيرا ولم يبقى مظلوما وإنما لطف به وجمعه بأهله بعد سنين

---

(١) لم يعدها الشيخ كعبدد من الفوائد وجعلتها فائدة مستقلة لاختلافها عن سابقتها .

(٢) لطف: اللطيف : صفة من صفات الله واسم من أسمائه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **الله لطيف بعباده** ﴾ ، وفيه : ﴿ **وهو اللطيف الخبير** ﴾ ؛ ومعناه ، والله أعلم ، الرفيق بعباده . قال أبو عمرو : اللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق ، واللطف من الله تعالى : التوفيق والعصمة ، وقال ابن الأثير في تفسيره : اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه . يقال : لطف به وله ، بالفتح ، يلطف لطفاً إذا رفق به .

٩٨- قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا . . فسبحان من جمع هذه الأسرة بعد هذه الفترة الطويلة .

﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** (١٠١) **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ** (١٠٢) ﴾ .

٩٩- أن الإنسان المسلم إذا اكتملت له نعم الله فانه يسأل الله الوفاة على الإسلام وبقي أن يهتم جدا بالخاتمة وهي الوفاة على الإسلام . لذلك لما رأى يوسف كل ما يريد يتحقق . . العزة في الدنيا تحققت والملك صار إليه والمكانة والغنى واجتماع الأهل ومجيء الأبوين . . تحقق كل ما يريد ماذا قال؟ ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ** ﴾ هذه منه ﴿ **وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ وحصل كل ما يريد أيش الدعاء ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ فإذا نلت كل ما تتمنى في الدنيا بقي شيء مهم وهو أن تخرج منها على ما يرضي الله ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ الصالحين فيهم الأنبياء الذين مضوا قبله فهم الرفيق الأعلى ﴿ **فَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** . . ﴾ ولذلك النبي ﷺ لما نزل به الموت خير يبقى في الدنيا أو يلتحق بالرفيق الأعلى قال : «**بل الرفيق الأعلى**»

ورحل . من هم الرفيق الأعلى ؟ هؤلاء النبيون والصديقون والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا . وهو الأعلى لأنه عند الله ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ عند الله .

١٠٠ - (٤٠)

❑ ❑ ❑

---

(١) ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ هذه الآية وكل من الآيتين ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) ﴾ دلت بمجموعها على أن المراد من القصة هو الوقوف على العبر والعظات التي فيها وأنها ما كانت قصة مفتراة ولكنها تصديق لما جاء من قبل لأهل الكتاب وعليه فلن ينتفع بهذه الآيات إلا أولوا الألباب أي أصحاب العقول الزكية الطاهرة .

تم بحمد الله